

## النزوع الرومانسي في رواية سور الحرمان للكاتب سليمان شفتار

يوسف مفتاح مسعود<sup>1</sup>، فتحية محمد صقر<sup>2</sup>

<sup>1</sup> اللغة العربية، التربية ترهونة، الزيتونة، ترهونة، ليبيا

<sup>2</sup> اللغة العربية، التربية ترهونة، الزيتونة، ترهونة، ليبيا

\* y.krauem77@gmail.com

## The Romantic Tendency in Suleiman Sheftar's Novel the Wall of Deprivation

Yousef Muftah Masoud<sup>1\*</sup>, Fathia Muhammad Saqr<sup>2</sup>

<sup>1</sup> Arabic Language, Education, Azzaytuna, Tarhuna, Libya

<sup>2</sup> Arabic Language, Education, Azzaytuna, Tarhuna, Libya

تاريخ الاستلام: 2026-05-20، تاريخ القبول: 2026-05-30، تاريخ النشر: 2026-06-11.

### المخلص:

ترجع بدايات النزوع الرومانسي في الرواية العربية إلى تأثيرات الثقافة الغربية ومذاهبها الفلسفية في الأدب العربي منذ بدايات القرن العشرين، وقد تغلغت في أغلب مدارس الشعر العربي ومن بعدها الرواية، ويفرض البحث في هذه النزعة من الناحية المنهجية وضوحها في الرواية الفنية التي تنكئ في تشكيها على أصول نظرية الادب، والمتأمل في طبيعة الرواية الليبية بشكل عام يرى فاء كتابها للقيم العامة للرواية العربية والتي من بينها قيام بعض نماذجها على بنية رومانسية نابعة من التقافها حول الذات وقضاياها كما في تشكيل نص الدراسة بدءا من عتبة عنوانه الذي يخلق انطبعا أوليا عن الطابع الرومانسي المتمثل في الحرمان من الحب عبر معاني المنع والرفض، إن تركيبته من الناحية النحوية تنبئ عن تطابقه مع مضمون الحكاية، فالشعور بنائية السور والحرمان ليست منعمة في النص وليس من العسير الوصول إليها وتتعدى حدود الحرمان العاطفي والمرأة في علاقات الراوي إلى القضايا السياسية والاجتماعية، ومن النزوع المتحقق في الرواية الانشغال بالذات محور الأحداث والتي تدور حول شخصية الراوي محسن وأزماته العاطفية في علاقاته بنماذج المرأة التي تحتكم في عاطفتها لأنساق الذات والمجتمع، يفصح منظور المرأة عن أزمة عاطفية ناتجة من الرغبة في التعلق بالمتقف ومحمولة الفكري، ويتم التعاطي ذاتيا مع رؤيته الخاصة بالارتباط الشرعي الذي يحاول أن يتجاوز ما تفرضه ماديات الأنساق المحلية، وتمثل الطبيعة ثالث تشكيلات النزوع في الرواية، وخصوصيتها تنبع من الارتباط النفسي بفضاءات معينة فرضتها الأحداث، لذلك نلاحظ أن الفضاء المكاني المرتبط بالطبيعة وحركتها ينبع من عاطفة شخصيات الرواية واستنساخها النشوة في أحضانها تارة والضيق والمعاناة تارة أخرى، وكان الليل والبحر أهم مظاهر الطبيعة التي امتزجت بلحظات عاطفية ونفسية خاصة.

**الكلمات المفتاحية:** سور الحرمان، النزعة الرومانسية، الراوي، الذات، المرأة، الطبيعة.

### Abstract:

The Romantic tendency in the Arabic novel emerged from the influence of Western philosophical and literary doctrines in the early twentieth century, spreading from poetry to narrative fiction. Methodologically, analyzing this tendency requires examining its manifestation in the artistic novel, which relies on literary theory. The Libyan novel generally

adheres to the overarching values of the Arabic novel, particularly in adopting a Romantic structure centered on the self and its predicaments.

This study examines this configuration, starting with the title as a textual threshold that evokes an immediate impression of romance characterized by emotional deprivation, prohibition, and rejection. Syntactically, the title aligns with the narrative content, where the duality of the "wall" and "deprivation" transcends emotional limits to encompass political and social dimensions. A key Romantic manifestation in the novel is the preoccupation with the self, revolving around the narrator, Mohsen, and his emotional crises with female archetypes whose emotions are governed by social patterns. Furthermore, the female perspective reveals a crisis rooted in the desire to connect with the intellectual and his paradigms, attempting to transcend local material constraints. Finally, nature represents a major Romantic component, reflecting the characters' psychological states—oscillating between ecstasy and distress—with the night and the sea serving as the most prominent manifestations blended with these emotional moments.

**Keywords:** The Wall of Deprivation, Romantic Tendency, the Narrator, the Self, Women, Nature.

#### مقدمة:

قبل الخوض في تفاصيل قراءة الرواية وتحليلها يجدر أن نلقي الضوء على سيرة كاتبها سليمان شفتنر الذي يعد أحد كتاب الرواية في ليبيا ، وقد اعتمدت في تفاصيلها على رسالة بعث بها إلي أحد أفراد عائلته المتضمنة سيرته الذاتية، ومما ورد فيها أنّ الكاتب سليمان الشتوي شفتنر ولد بمدينة مصراتة سنة 1942 ونشأ وتلقى تعليمه الأساسي والمتوسط فيها، عمل بعدها معلما للغة الفرنسية بقطاع التعليم، وقد جمع بين رسالته التعليمية واهتماماته الثقافية بقضايا الوطنية والاجتماعية في مقدمتها المرأة التي كان يراها والوطن كيانا واحدا، ينتمي شفتنر إلى جيل الموجة الثانية من الكتابة الروائية في ليبيا بعد جيل المؤسسين في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، له ثلاثة أعمال أدبية منشورة ؛ روايتان وهما سور الحرمان وعازف الليل ومجموعة قصصية عنوانها فرسان في الطريق، وأعمال أخرى مازالت مخطوطة، توفي في فبراير من سنة 2025

إنّ البحث في النزوع الرومانسي في سور الحرمان يفرض تحقق أمرين، الأول أنّ المعيار المذهبي واضح المعالم، والثاني أن تكون بنية الرواية وفقا لآليات التشكيل في أصل النظرية الأدبية، وإن كان غير ذلك فلربما تلقى بالبحث في مناهة تحليلية دون دليل على نتائجها، ولكي نطمئن في تجربة البحث ونتجنب ما ليس من صميمه فقد رأيت أن تكون سور الحرمان الأساس الذي تنطلق منه الانطباعات النقدية، ولا نجتذب من أصول المذهب إلا ما يستدعيه خطاب الرواية، من ثم يتحدد الهدف من الدراسة في أن نرى كيف تشكل النزوع الرومانسي فيها؟ والمتأمل في طبيعة تشكيل الرواية الليبية في ثمانينيات القرن الماضي يرى الوفاء الكبير في مضامينها لمعطيات المذهب السائد و مسيرتها لإيديولوجيا زمن الكتابة والنشر بأشكالها التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وضمن هذا المسار يندرج اسم الكاتب سليمان شفتنر بروايته الأولى سور الحرمان، ولعل هذا المسار كانت له نتائجه التي أهمها قلة الأعمال الصادرة، والكتابة بحذر لملازمة أغلبها للخطاب الإيديولوجي السائد زمن الكتابة مع ضعف التلقي النقدي لنماذجها، وعلى الرغم من المعطيات السابقة فإنّ رواية سور الحرمان -التي تتجاوز مساحتها النصية الخمسمائة وأربعين صفحة من الحجم المتوسط تقريبا - تحمل خصوصية خطابية تحفز الباحث على قراءتها من منظور نصي يجمع بين ثنائية القضايا والتشكيل، ومما يزيد من أهمية الدراسة عدم وجود دراسات حولها حسب علمي .

تبدو خصوصية سور الحرمان في طبيعة مضمونها الذي يجمع بين نزعتين أساسيتين هما الرومانسية والاجتماعية، وقد أثرت النزعة الأولى في كثير من مسارات الأحداث التي تدور حول شخصية محورية هي بطل الرواية محسن المثقف الإشكالي الذي يعاني من علاقاته العاطفية وكانت وراء حالة التيه والضياع الداخلي التي مر بها، وقد اسند الكاتب لهذا البطل كثير من الوظائف السردية لعل أهمها وظيفة رواية الأحداث والإرسال والشفافية الذاتية في المحكي الثاني من الرواية.

### إشكالية البحث

في بداية البحث في رواية سور الحرمان تجدر الإشارة إلى طرح موقف نقدي خاص حول مسار الكتابة الروائية والموقف من تحولاتها المضمونية والشكلية من خلال قضيتين أساسيتين تختصان بالكتابة الروائية في أية ثقافة إنسانية، بحيث يمكن أن نعددهما منطلقين لتفسير قضية الزوع الرومانسي في نص الدراسة.

**القضية الأولى:** وهي أن ابتكار أسلوب جديد من الكتابة الروائية يعني قيام حركة أدبية ونقدية متكاملة بكتابتها تنفي الجمود والتقليد عن ذائقة الكتاب في ثقافة معينة.

**القضية الثانية:** التي تطرح بين الفينة والأخرى وهي أن الأساليب الجديدة للتقاليد الفنية قد تكون لبنة جديدة ربما تستطيع إعادة الفهم والقراءة للماضي القريب والبعيد.

يمكن القول إنّ القضيتين السابقتين تلخصان واقع حضور الرواية الليبية في القرن الماضي وإن حاولت تجاوز السمة التقليدية في بعض نماذجها عبر منظومة جمالية متنوعة قائمة على ثنائية اللغة والتشكيل، وأصبحت هناك مسافة كبيرة بين النصوص ذات الطابع التقليدي والأخرى ذات الطابع التجديدي في الرواية الليبية، وتجدر الإشارة إلى أن التناقض الفكري الغربي لم يؤثر على بنية الرواية الليبية بذلك القدر الذي عرفته السرديات العربية.

وطبقاً لذلك يروم البحث مناقشة رؤية الخطاب الرومانسي وفلسفته في رواية سور الحرمان، لكي نؤكد على أن كتابتها لم تكن مجرد مغامرة طارئة من الكاتب بقدر ما كانت تطورا طبيعيا لمسار الرواية الليبية سمحت له ظروف زمن الكتابة بالظهور والتواجد، وفي السياق ذاته تثير الرواية إشكالية انطباقية عن الترابط بين النموذجين الرومانسي والاجتماعي في تشكيل بنيتها وتأكيد إيقاعها الإبداعي الذي يتحكم فيها، ومن ثم فإن محاور البحث المقترحة تكون كالتالي:

### المحور الأول: الرومانسية وتشكيلها في السردية العربية:

بعيدا عن نشأتها وحضورها في الآداب الغربية حظيت الرومانسية بمكانة في الأدب العربي ناتجة عن استيعاب أدباء العربية للتيارات الفكرية الوافدة من الغرب لاسيما الشعراء منهم، وكانت البداية مع خليل مطران ثم توسع حضورها في الأجيال التي جاءت بعده والمدارس التي قامت على نزعته وكان آخرها التيار الحر في الشعر العربي، ولم يتوقف الأمر على جنس الشعر بل أكملت تغلغلها داخل أغلب الأجناس الأدبية وبخاصة القصصية منها، وكان المناخ الثقافي - آنذاك - يسمح بهذه النقلة المذهبية داخل جنس الرواية، وقد أسهمت عوامل عديدة في التحول الكتابي العربي للرومانسية؛ فمع الاتصال بالغرب تأتي أجواء الحرية التي انتقل إليها الكتاب العرب في الرواية وغيرها لاسيما في ثالث السلطة والدين والجنس، مع التطلع إلى المثل العليا والمعاناة النفسية وما في حكمها من القلق والحيرة والنزعة الحملمية بمجتمع أفضل، كلها أسباب أسهمت في ظهور ما يعرف بالرواية الرومانسية في الثلاثينيات من القرن الماضي التي اقتربت في تشكيلها الفني من النموذج الغربي في الكتابة الروائية، وتقوم حبكة الشكل الرومانسي على المغامرة العاطفية، فهي تنصب على علاقات الحب القائم بين الرجل والمرأة، ولكنها لا تكتفي به، بل تمتد إلى مختلف أشكال العلاقات الاجتماعية ليكون الهدف منها تقديم القضايا المهمة في المجتمع.

ويؤرخ نقادنا لأولى نصوصها بظهور الرواية الفنية بدء من رواية الأجنحة المتكسرة الصادرة سنة 1912 لجبران خليل جبران، ولعل المتأمل في النتاج الروائي العربي يلحظ أنّ الروائيين قد تأثروا في بداية حياتهم بأسلوبه ونزعته الرومانسية، فقد انتشر جبران وأصبح مقروءا لدى جمهور كبير من الناشئة حتى وقت قريب (ينظر: السعافين، إبراهيم، ط2، 1984، ص221)، ومن بعدها ظهرت رواية زينب للقراء سنة 1914 لكاتبها محمد حسين هيكل، واعتمدت في بنيتها أكثر من مسار سردي حكاوي لكن ما يجمع بينها تجربة الحب الفاشل الذي يرتبط بأنساق تتجاوز حدود النماذج العاشقة إلى سلطة أكبر هي سلطة مجتمع الريف المصري ومحاولة هذه التجربة الصمود أمامها، وقد سيطرت الرؤية الرومانسية على المنجز الروائي العربي في مرحلة ما بين الحربين العالميتين من خلال مجموعة من الكتاب جاءوا بعد هيكل؛ منهم طه

حسين والمازني ومحمود طه وتوفيق الحكيم، ومن كتاب هذا الاتجاه المعاصرين إبراهيم نصر الله من خلال روايته براري الحمقى وشرفة العار وشرفة الفردوس، وقد تميزت نصوصه بالتعبير عن الذاتية الفردية والبحث عن العزلة، وقد حاولت بعض الكتابات أن تقترب من الواقع وتعالج قضاياها الاجتماعية بإثارة قضايا الفوارق الطبقيّة والعادات المستحكمة(ينظر : السابق، ص224).

وكان للناقد المصري طه وادي وجهة نظر في ظهور النزعة الرومانسية في الرواية العربية إذ يراها نتاج التأثير السطحي للروائيين العرب بالقواعد العامة للرومانسية الغربية ودعواتها الخاصة بتحرير الفرد والمجتمع ومن ثم كان إطارها الالتفات والانغلاق حول عاطفة فرد يؤرقها الحرمان من الحب والشوق إلى السعادة(ينظر: وادي، طه، 1973، ص20)، وبحسب شكري غالي فإنّ منجزاتها محدودة في الإطار الفني باقتصارها على قضايا الذات والحزن والقلق والهروب من المواجهة بعد أن غاب عنها تمثيل الحس الثوري السياسي(ينظر : شكري، غالي، ط 2، 1980، ص 55)، وممن تنبه لهذا النزعة من النقاد في الرواية إبراهيم السعافين، وأحمد أبو مطر وحامد سيد النساج ونبيل راغب، وقد دعت أصوات نقدية إلى ضرورة إعادة فهم للرومانسية الغربية وتعديل رؤيتها بما يتفق والتجربة الأدبية المحلية العربية وخصوصيتها التي تغاير التجربة الوافدة(ينظر : السابق، ص208)، وتحاول نصوص الرواية الحديثة ذات الطبع الرومانسي أن تتجاوز النزعة العاطفية بطرح مضامين أخرى تاريخية واجتماعية وسياسية عندما صورت نماذجها الرئيسة بأنها ضحايا لمجتمعاتها، ويسيطر على هذا الشكل صوت الكاتب المتخفي وراء روايه الذي يبحث عن ذاته ويعيش حالة من التذمر والثورة على ظروفه الحياتية.

### المحور الثاني: تشكيلات النزوع الرومانسي في سور الحرمان

تتطلق الرواية من المبدأ العام للرومانسية في طرحها للذات وهمومها العاطفية في إطار الواقع الاجتماعي والسياسي وتمثله الشخصية الرئيسة للرواية وراويها الطالب الجامعي محسن، ما يعني التركيز على الشخصيات بعينها لتكون محور الرواية بحيث تكون أقرب إلى رواية الشخصية(ينظر : السابق، ص249)، وقد اتسمت علاقة الراوي بما يرويّه بعدة سمات؛ منها المشاركة في الأحداث والكشف عن عوالمه الذاتية وإيهام المتلقي بواقعية ما يرويّه عبر المرجعيات المكانية والزمنية والشخوص الموظفة في إطار الحكاية لتكون الرواية في مجملها لوحة تصويرية ذات إيقاع شعري يعكس رغبة الشخصية المحورية في البحث عما حرمت منه ذاتها الثانية، و من ثم يبدو النزوع الرومانسي في التشكيلات التالية :

#### 1- عتبة العنوان وظلالها الرومانسية

العنوان في نظر النقاد فاتحة التلقي الأولى التي تثير انتباه القارئ لفك شفرات النص وتحديد هويته المبدئية" وتدور حوله الدلالات التي يتضمنها وتتعلق به أنساق مختلفة، ذلك لأنه يلعب دور المؤول الذي يخلق الدلالة المركزية للنص"(ينظر: بلعابد : عبدالحق، 2008، ص66)، يمكن القول إنّ عنوان الرواية سور الحرمان باب الدخول إلى عالمها الرومانسي وأول ملامح رؤيتها، وقد استجاب به الكاتب لتصورات و مشاهدات الراوي الداخلي لفضاءات مكانية خاصة بالمرأة والقهر الاجتماعي، فكانت قراءة النزوع من العلامة المكانية التي تؤشر إليها عتبة العنوان والتي تتواتر على لسان الراوي بين الفينة والأخرى، وتستجيب لكثير من فضاءات الأحداث وتشكيلاتها، ذلك أنّ سور الحرمان فضاء سجنى مانع لحرية الفعل أو الرغبة فيه، حيث يعني السور في بعده المادي الحائط والارتفاع أو أن بناء مرتفعا يمنع من إشباع رغبة حقيقية ثم تأتي الإضافة(الحرمان) بأداة التعريف للتأكيد على خصوصية المضاف ووظيفته في المنع والصد وعدم الظفر بالحقوق والتي تتجاوز حدود المادي الملموس إلى آخر معنوي مرتبط بكبت الذات وقمعها .

يمكن القول إنّ تركيب العنوان يكاد يجمع بين معنيين متقاربين في الدلالة؛ ففي كليهما يحضر فعل المنع ذلك الخيط الذي يحضر في كل أحداث الرواية بحيث يخلق انطبعا أوليا عن الطابع الرومانسي المتمثل في الحرمان من الحب الذي تصفه شخصية الرواية محسن "إنني لا أنكر على شعوري بانفعال ورغبة جاسرة يطغيان على ذاتي كلها إنها العاصفة... آه... وإنه الحرمان، وأنا داخل السور بين العدد الكبير من الحسان...، الأمل أن يلتقي كلا الجنسين بالأخر تحت ظروف طبيعية ولكنه لا يحدث في الغالب بيد أنّ لقاءتنا تتم تحت العرف"(شفتنر، سليمان، 1987، ص26،27).

إنّ تأمل العنوان وتركيبته الاسمية من الناحية النحوية ينبئ عن تطابقه مع مضمون الحكاية، فالشعور بثنائية السور والحرمان ليست منعدمة في النص وليس من العسير الوصول إليها وتتعدى حدود الحرمان العاطفي والمرأة في علاقات

الراوي إلى قضايا حرية التعبير والحرمان الاقتصادي، أثر نلمحه في المشهد الحواري الذي جمع أحد سجناء الرأي بنموذج من السلطة الأمنية الذي يسأل: " - لماذا أنت مسجون؟

- لأنني أتقف الناس عن حقيقة حياة اليوم -  
ولماذا تريد أن تتقف الناس؟ -  
حتى يخرجوا من نطاق برزخ التخلف -  
وسور الحرمان.  
وهل الحكومة لا توفى بهذا ؟ -  
الحكومة تكذب ... لا يهمها إلا المصلحة -  
الشخصية ومراكز النفوذ." (السابق، ص131).

## 2 - صورة الذات وقضاياها:

يبدو الراوي في المحكيين الأول والثاني هو الذات الأولى والشخصية الرئيسية في الرواية التي يقوم خطابها على استرجاع يمثل المحكي الثاني ومضمون القصة، وهذه الذات المشاركة في الأحداث معلومة الاسم والهوية عبر التقديم غير المباشر في أكثر من ملفوظ في مساري الخطاب المحكي؛ ففي هذه التناوبية يقول: " ولم أكد أخطو خطوة حتى استقبلني رجل بشوش الوجه منشرح السريرة ...، وهو يقول "ألسنت محسنا؟! مرحبا بك يا ضيفنا العزيز! ... كان الواجب عليك أن تخرينا على الأقل عند قدومك" (السابق، ص7)، وفي خطاب آخر تتشكل بعض ملامحه الثقافية ونعلم من مفارقة التلخيص التي افتتح بها الخطاب المروي في أحد فصول المحكي أنه قد أنهى عامه الأول في الدراسة الجامعية يقول: " نجحت في امتحان السنة الأولى ... وانتقلت إلى السنة الثانية ... وعزمت على الرحيل بعد هذا الحدث العظيم ... سافرت إلى الريف: موطن أهلي و أعزائي ومسقط رأسي لأنعم بالراحة واستقرار النفس والابتعاد عن نفايات المدينة ...، عادت الأيام بنفس السرعة التي مضت و انقضت واقترب موعد الدارسة وهكذا عدت الأيام والأحداث" (السابق: ص32).

يحاول الكاتب أن يوهم بصدق ما يروي عبر الإشارات الدالة على الفضاءات الواقعية التي وقعت فيها الأحداث مثلت أحياء طرابلس الفضاء الرئيس الذي انطلقت منه حركة الذات و إليه انتهت، وبين البدء والانتهاج المكاني تبرز فضاءات كثيرة أخرى ترتبط به لكنها خارج حدوده الجغرافية وقد ربطت الراوي بعلاقات ذات طابع إنساني و عاطفي بداية من بادية البريقة ومرورا بينغازي وانتهاء بريف المرج، وتتجلى الذاتية عبر مجموعة من تجارب الحب التي خاضها الراوي، وكانت وراء التحول في مسار حياته الخاصة، بداية بالحدث الأول الرئيس الذي جاء عبر مجموعة من الخطابات الغرامية المرسله التي تصل مكان إقامته وقد تضمنت اعترافات المرسل الغائب(الصوت الأنثوي) لذات الراوي و الرغبة العاطفية في التقارب معه، وقد سعي للبحث عنه ومعرفة هويته عبر أكثر من خيار كان آخرها سؤال ذاته، حيث تقول: " كلماتي هي أنا ... هي مشاعري ووجداني هي أفكاري أمالي...إنها الصورة الأصلية لذاتي إني عرفتك من زمان بعيد ولكنك بعيد يعيد جدا" (السابق: ص33).

اعتمد الكاتب على تقنية الرسائل لتكون تيمة استشرافية إعلانية ينتظر المتلقي تحققها وقد تحققت في آخر مسار الأحداث عبر تقنية أخرى هي الاعتراف والكشف التي تتواتر مع كل علاقة عشق جديدة يدخل فيها الراوي، وتأتي الإشارة صريحة لمبدأ الاعتراف في ملفوظ خطابات مجهول الهوية، ونلمح فيها الرغبة في الاعتراف الاستشرافي المؤجل يقول: " إني أعرف أنك تستغرب ... من أين تأتيك هذه الرسائل ولكن سيأتي اليوم الذي تعرف وأعترف لك فيه بكل شيء" (السابق: ص39).

والتيمة السابقة يؤكدها السرد في أكثر من مسار يجمع الراوي محسن بنماذج المرأة في الرواية، وهم: ربيعة ومنيرة، وحوراء وفتحية، ولقد أفصح منظورهن الخاص عن أزمة عاطفية ناتجة من الرغبة في التعلق بالمتقف وخصوصية محموله الفكري، ويتم التعاطي ذاتيا مع رؤيته الخاصة بالارتباط الشرعي الذي يحاول أن يتجاوز ما تفرضه ماديات الأنساق المحلية، تقول الفتاة ربيعة للراوي: " محسن أنا مستعدة أن أعيش معك تحت أي ظرف من ظروف الحياة وتحت أي سقف الحياة أراها ليست مظاهر إنها ليست قياسا ماديا، ربما حتى في كوخ أو بيت شعر نأكل معا رغيفا يصنع من الشعير" (السابق: ص123).

وتبدو إشكالية الشخصية الرئيسة محسن في أن ما يطرحه يتناقض مع ما يأتيه من أفعال حيث نراه ينساق وراء هاجس عاطفته على حساب القيم الأخلاقية والدينية التي تعكسها الصورة العامة للبطل في الرواية الرومانسية العربية (ينظر: الهواري، أحمد، ط4، 2002، ص89) برفضه لمنطق الأسوار التي تفصل المرأة عن الرجل تلك التيمة التي يقوم عليها مضمون رواية سور الحرمان، إذ نلمح في الرواية إشارات عن احتجاج البطل محسن ورفضه لتلك الأسوار التي تحد من حرية المرأة وتقيدها وتزيد من مساحة الفراغ العاطفي لديها، يقول:

" كنت واقفا أطرق باب مدرسة البنات الحديدي وبصري منجذب إلى سور المدرسة الطويل أقرأ وأتفحص ما عليه من رسوم وعبارات قلوب مرسومة ومسهومة بعناية... الحب الضائع، سور الحرمان، حتى وجدت نفسي محاطا بعدد كبير من البنات: منهن الضاحكة الباسمة الغامزة وكل واحدة تريد أن تكون في المقدمة وفتاحة حوار المهم أن تتبادل كلمة تطرق بها خبايا العاطفة في مغامرات وهمية تعيش فيها ولو لحظات  
قلت مستغربا مخاطبا نفسي:

في الشارع لم تتجراً واحدة أن ترميك حتى بطرف عابر أو بكلمة خاطفة والآن لا أرى إلا النقيض من ذلك الأمر ليس عامل أخلاق أو مبادئ عفة أو مستوى راق من الإدراك بل لأننا خلف سور والسور يداري عيون الآخرين" (شفتري: ص26، 25)، لكننا نراه يتبنى موقفا محافظا بدعوته للفضيلة والستر في العلاقة التي تحكم أي ارتباط عاطفي، وكان العلاقة في نظره تنبع من قيمة أخلاقية قائمة على ستر الجسد الذي ترفضه الأنساق الاجتماعية، هذا المنظور يحاول أن يطبقه على أكثر من نموذج للمرأة؛ منه ابنة خالته الفتاة ربيعة والطالبة الجامعية منيرة، حيث يرفض مبدأ حرية الذات التي تقود لانكشاف الجسد، لهذا تصدمه هيئة شخصية الفتاة منيرة في الفضاءين الخاص والعام وفي هذا الجانب يتسأل عن المنطق العاطفي الذي يقود حالة الفتاة منيرة بعد أن يصف ظهورها يقول: "كانت شديدة التبرج، والعطر يفوح منها يكاد يشرق النفس كانت ترتدي قميصا ناصع البياض وتنورة قصيرة سوداء...، وما إن استوت في جلستها حتى كشف لباسها هذا عن مفاتن ساقها كان هذا الوضع لي مقلقا جدا وسبحت مع خيالي تساؤلات لا تنتهي: لماذا تلبس هذه الملابس؟ لماذا أراها نصف عارية...، هل هذه قوة أم ضعف؟ أم تراه جانبا آخر فوق إدراكي" (السابق: ص80).

يمكن القول إن موقف الرفض يتجاوز حدود الدائرة الضيقة التي تمثلها شخصية الراوي محسن إلى ذهنية المؤسسة الثقافية التي تنتمي إليها الفتاة منيرة؛ لأنها ترى في هذا الكشف تجاوز لحدود الفضيلة التي تؤمن بها وتعمل من أجلها هذه المؤسسة، هذا الرفض تقرأ ملامحه في صورة النسق العائلي الخاص الذي يشير إليه هيئة والدي الفتاة منيرة، ففي ظهورهما أمام الراوي يحتكمان إلى ما تجذر فيهما من قيم الفضيلة الاجتماعية وعاداتها وتقاليدها، فالأم التي يرفض وعيها منظور ابنتها لم تستطيع المواجهة أو المنع، يصف الراوي هيئتها وردة فعلها من علاقته بابنتها يقول: "كانت لا تحيد رداءها عن وجهها من خلال تعابير وجهها وشعاع عينيها أحس أنها لا ترغب في وجودي" (السابق، ص87)، وتتسق شخصية الأب مع الصورة السابقة في هيئته التقليدية التي ظهر بها وقيمه الخلقية والدينية التي يمارسها مع تنوع محموله الثقافي الذي فجأ الراوي، يقول عنه: "إنه من النوع الذي يدخل النفس يلبس جردا أبيض وكساء تقليديا أنيقا طويلا أبيض وكساء تقليديا أنيقا طويلا..، عزمي على وجبة الغداء وعندما حان وقت صلاة الجمعة طلب مني أن أتوضأ حتى نذهب معا إلى المسجد كان ثرائنا واسع الثقافة لا تطرق له موضوعا إلا ويغوص فيه بعمق قد لا تجده في كثير من المتعلمين" (السابق، ص89)، إن ما سبق يؤشر بشكل غير صريح عن موقف يناقض حالة التعري التي تمارسها ابنته منيرة، كما إنه يحمل مفارقة درامية نابعة من صراع الأجيال في الرواية، فما يرفضه جيل الآباء تحيل ممارسته عند الأبناء إلى قيم الحرية والانفتاح الثقافي.

إن تتبع مضمون الرواية في بعده الرومانسي يحيل إلى دلالات خطابية أيديولوجية ترتبط ربما بزمناً الكتابية وإدانتها غير الصريحة لزمناً القصة ذلك أن حالة الانكشاف والتعري التي تمارسها الطالبة الجامعية منيرة بل تحتج على أنها إطار عام في فضاء الأحداث تكتسب بعدا آخر وهو الموقف من القيم السائدة زمن الحكاية المحددة بأواخر ستينيات القرن الماضي في كثير من إشارات الخطاب لزمناً القصة، ففي الحوار الذي جمع الراوي بالفتاة منيرة نراه يسأل عن هذا الواقع ويدينه بسخرية: " - لماذا تلبسين هذه الملابس؟  
أجابت مبتسمة:

-من المسؤول عن هذه الرذيلة؟

- من السؤل عن هذه الفضيلة؟

هل أنا؟ ...هل هي؟؟... هل الشيطان ... هل القدر؟

وأبقى مع نفسي حائرا: من المسؤول عن هذه الجريمة؟" (السابق، ص 80 وما بعدها)

إن معاناة الذات أهم ما يلفت النظر في رواية سور الحرمان سواء أكانت ناتجة عن أزمة الإخفاق العاطفي أو الواقع السياسي لكنها تتجاوز حدود الحزن المؤقت إلى المرض وأحيانا الهروب أو الموت، وهذا نلحظه في مسار علاقات الراوي العاطفية، إذ يبدو أثر تماسك علاقته بعشيقته الأولى ربيعة على جسده الذي بات تظهر عليه علامات المرض؛ ففي الحوار الذي جمعه بشخصية مفتاح إحدى النماذج الثانوية في الرواية يقول " لا شك أنك مريض يا محسن ... ما هذا الشحوب الطارئ على وجهك؟ ماذا أراه يكون ؟

مجالك ضيق عاطفي ومحروم ... أنت مريض يجب معالجتك بسرعة حتى لا يتفاقم داؤك وينتشر كالضباب يغشى عيون البشر" (السابق: ص 59، 61).

وفي جانب علاقة الراوي بالنموذج العائلي الفتاة ربيعة التي استطعت أن تخضعه مؤقتا لذاتها دون غيرها من النماذج النسوية، يقف حدث المرض الجسدي الذي أصابها عائقا أمام استمرار حالة الحب بين الطرفين ليأتي الموت و يقع هذه العلاقة وينهيهها، و يحاول الراوي بعده تجاوز صدمة الحدث بتعاطيه مع الخيار العاطفي الذي يقلص من معاناة الفتاة ربيعة قبل الموت، يصف الراوي معاناة فتاته في لحظاتها الأخيرة في سرد طويل يجمع حركة اللحظة مع وصف تأملي، تقف عند بعض من صوره التي جاءت عبر مناجاة حزينة، يقول: " كان وجهها تظلل سحابة صفراء كلون الشفق عندما تودعه الشمس وتتناثر عليه قطرات من العرق البارد تتدرج إلى مقلتيها الشبه منفرجتين وكأنها تنظر إلي من بعيد وصدورها يخفق بموجات حادة حتى تهز الغطاء، كل شيء يحاول أن يشد ذاته إلى البقاء والوجود إلا ذلك الخرم الذي وقع في قلبها هو الشيء الوحيد الذي انهدم لأنه لا يقوى على البقاء ...، وجهها بدأ يشوبه الشحوب والجفاف شيئا فشيئا وصوتها بات يخبو ...، انحني على وجهها لأناديها أنا فيما يشبه الحلم بربك لا ترحلين وتتركيني وحيدا في هذه القفار لا تتركيني كنييا خلف أسوار المجهول هيا انهضي إنك في اضغاث أحلام هيا ابترسمي تأملي" ( السابق، ص306-307)

تتخذ الأحداث بعدها إطارا رومانيا جديدا في مدى زمني حكايتي قصير لم يتجاوز الثلاثة أسابيع من زمن القصة، لكنه استغرق مساحة نصية طويلة على مستوى الخطاب والوصف، يقتحم مسار حياة الراوي محسن وعاطفة الحب والفقد والحزن مع نموذج محيطه العائلي ربيعة، و بظلة المسار الجديد هي حوار فتاة بادية البريقة التي تقدم بوصفها نموذجا آخر يبحث عن خصوصية عاطفية صادقة خارج دائرة النسق المحلي فترهن خلاصها في طوق الحب العذري الذي تكتشفه في شخص بطل الرواية محسن الذي وصل للعمل في ميناء البريقة النفطية القريب من إقامة قبيلتها نجع وادي قرنات، تقول في حوارها الأول مع الراوي: " أنا رأيت كثيرات رضين بأمر الواقع وانجرفن مع الوادي ونسيهن التاريخ، وأنا أحس حتى الآن أن نفوسهن تحلق في سماء النجوم أسمى من مستوى الوادي الحياة في سياقها الطبيعي لا تعني شيئا حتى إن كانت نهايتها مؤسفة والموت في سبيل مراد القلب أذ من العسل" ( السابق، ص 221-222)، يعكس حضور هذا النموذج واقع الحرمان العاطفي للمرأة ونتائجه على مستوى الذات النسوية في ظل ما تفرضه أنساقها المحلية من قيود تمنع أي ارتباط لها خارج دائرتها لينتهي ارتهاها العاطفي بالوقوع تحت طائلة القهر الجسدي بالموت على يد ابن عمها .

إن ما يطرح من تمثيلات لعلاقة الرجل بالمرأة في الرواية يرتبط ارتباطا مباشرا بقضية النزوع العاطفي الذي شكلته مجموعة من المعاني والحوادث؛ لذلك يحاول الراوي في رحلة هروبه من صدمة النماذج السابقة إلى ريف مدينة المرج وعمله أجيرا في فلاحه الأرض أن يستشعر حلمه القديم فيستحضر صورة النموذج النسوي الأول ربيعة في ملامح نموذج جديد هو الفتاة فتحية ابنة صاحب الأرض السيد سعد، وتخوض فتحية أكثر من صراع مع الذات أولا بعد سفر الرجل الذي ترغب فيه وانقطاع أخباره، ومع نماذج الرجل التي ترغب في الارتباط بها تعزيرها لمكانتها الاقتصادية، وفي محاولة لتجاوز أزمة الفراق والفراغ الذي يعيشه كلاهما يجدان في التقارب العاطفي تعويضا مؤقتا عن تراكمات أزمتهما، لكن نمط التعويض المحايت لسيرورة العلاقة بين الراوي والفتاة فتحية يطراً عليه معيق ذاتي

وليس نسقي قاهرا للجسد كما في النموذجين السابقين أنما عاطفي يكتسب مشروعيته من ماضي الفتاة فتحية التي تتفاجأ بعودة حبيبها الغائب وطلب يدها للزواج و تتولد لديها الرغبة من جديد في التوافق العاطفي مع هذا المعيق، ويكتشف الراوي أنه الصواب الذي يباركه لتثانية النمط: فتحية والمعيق: عبدالمجيد.

وهكذا يجد نفسه في إطار عاطفي مؤلم من جديد يقوده للعودة لفضاء البدء طرابلس وأحياؤها، وفيه يتحقق الاستباق التمهيدي الذي بدأت منه أحداث النزوع العاطفي للراوي لحظة اكتشافه أن طالبة كلية المعلمين فوزية هي صاحبة الرسائل المعنونة باسم المجهول، ويعكس تقديمها المباشر لذاتها واقع القهر والامتحان على المستوى الذاتي والاجتماعي بعد وفاة والدتها وفاعلية المقاومة في مواجهة سلطة زوجة الأب، وما تمارسه من ضغط على المحيط العائلي كافة بما فيهم فوزية ابنة الزوج بالسعي لحرمانها من التعليم ومحاولة التخلص منها لأول طالب زواج حتى إن كان غير متكافئ، ويأتي تعاطيها العاطفي مع المثقف الذي شكل انتظار عودته مصدر مقاومتها لسلطة النسق العائلي عبر ممارسة التجاهل والمراوغة والانكفاء على الذات والعزلة، فما تريده عاطفيا لا يتوافق مع تلك الاختيارات، لذلك تجد الرجاء في ظهور الراوي و صحوة عاطفته من جديد في مسار حياتها، بحيث يصبح المتغيا الذي يتوج الفراق والقهر بارتباط عاطفي ضمن مؤسسة الزواج في حدث الاستباق التمهيدي الذي قام عليه محكي الرواية الأول.

### 3 - الاندماج في فضاءات الطبيعة

تتنوع صور الفضاء في الخطاب السردي، فمع فضاءات الكتابة والدلالة يحضر فضاء الأحداث بتقاطعاته المختلفة ليناسب واقع التشكيل وحضور الشخصيات وخصوصية حركتها وهي سمة عامة في الرواية وكتابتها، لكن للفضاء خصوصية في رواية سور الحرمان تتبع من الارتباط النفسي بفضاءات معينة التي فرضت على كاتب النص تشكيلها بطابع رومانسية، لذلك نلاحظ أنّ الفضاء المكاني المرتبط بالطبيعة وحركتها ينبع من إحساس شخصية الراوي واستشعاره النشوة في أحضانها تارة وبالضيق والمعاناة تارة أخرى، بدء من الليل والبحر والصحراء وغيرها من مظاهر الطبيعة التي تحضر ضمن لحظات نفسية وزمنية خاصة، من ذلك المشهد الوصفي الذي ارتبط بحدث وصول رسائل المجهول للراوي في مستهل الحكى والذي يقوم على تقاطب للطبيعة بين زمني الصباح والمساء: " كانت الشمس في ذلك الحين لا تبدو على الأفق غير أنها تطلق في نشاط بواذر أشعتها، فتغمر السماء وقم الهضاب البعيدة ورؤوس العمارات الشاهقة بلون ذهبي...، في مساء ذلك اليوم كانت السماء مكسوة وملبدة بسحب سوداء مخيفة والبرودة شديدة والرياح الهائجة تهز كل شيء...، وكلما زادت حلقة الليل تمدت الطبيعة في غضبها"(السابق، 15-16) يكاد المشهد الوصفي الأول يشكل تيمة النزوع الرومانسي بما يشتمل عليه من خصوصية تصويرية تجمع بين ثنائية الإشراق والظلمة تلك المفارقة الطبيعية للزمن و امتداده المشهدي في أول يوم من المحكي الثاني الذي يروي فيه الراوي أحداثه النمطية اليومية من مغادرة السكن صباحا للدراسة والعودة إليه مساء، لذلك كان المنظور من لحظة الشروق التي تغمر ما حولها من معالم مرتفعة بألوانها الذهبية، ثم تأتي القفرة الزمنية بعدها إلى أجواء المساء باضطرابات الشتوية من غيوم وبرودة ورياح هائجة.

إنّ اعتماد المشهد السابق على فاعلية الحواس يؤشر على نمط الوصف عن طريق الرؤية القريبة التي توكل فيه لشخصية الراوي المشارك في الحدث، و يأتي اندماجه مع الطبيعة في تداعيات اليقظة التي رسمت صورة لحبيته وهي " ترقص على أرض سهولها تعطيها الأعشاب النضرة والزهور والنسيم اللطيف ينساب مع رداها الأبيض الفضفاض وترفع يديها إلى السماء وكأنها ترحو شيئا عزيزا عليها بين يديها الضارعتين" (السابق، ص 22)، لقد أسس الكاتب وصفه للطبيعة على شعرية الصورة في كثير من سياقات خطابها لبث الحياة والطمأنينة فيمن حوله، وأحيانا لبث شكواه ومن جميل تصويره الرومانسي للطبيعة الوصف التالي: " الطبيعة تسقي الروح بهجة وإشراقا: الجو الطيب يلامس الوجوه في حنان...، البحر يناجي السامع من بعيد بلحن شجي عميق، الشمس الغاربة تسحب رداها فيتترك في الأفق الشحوب لونا ذهبيا" (السابق، ص 102)؛ لا يخفى ما في الوصف من تشخيص بلاغي اعتمد أغلب الحواس في تشكيل صورته التي تجتمع فيها ألفاظ الحركة: (تسقي، يلامس تسحب، تترك)، مع ألفاظ الصوت: يناجي، لحن شجي) كل ذلك مع دوال اللون(الشحوب واللون الذهبي)، فهذا التجسيم الجميل يكشف عن تمام ذات الراوي ونماذج المرأة التي تشاركه شواغله العاطفية مع مظاهر الطبيعة وفضاءاتها.

ويمثل الليل أهم مظاهر الطبيعة التي اندمجت فيها شخصيات الراوية عاطفياً، ولا حصر للمشاهد الوصفية التي جمعت زمنه وظلمته بذات الراوي، وأول ما يصادفنا في الرواية علاقتة بالتححرر من القيود النهارية والحب ويرتفع ستار الأسرار عن النفس بالإشراق الروحي والأحلام (ينظر: هلال، محمد غنيمي، 1973، ص 158)، يقول الراوي في أحد المشاهد الوصفية المرتبطة بلحظات التأمل والانسجام النفسي: "خرجت من البيت والابتهاج النفسي يدفعني إلى التجول، غبت في الظلام وتهدت في غياهب المدينة وأنا فرح بهذا الضياع دخلت الحقول وداعبت رائحة الأشجار والثرى الندى أنفي...، أحسست بنسيم رطب منعش يصدر من الحقول معطرا يوقظ القلب ويبقي العروق، مرغت وجهي بين الأعشاب وملأت وجهي التراب يا ربيعة أما تسمعيني؟! لما لم تأت حتى الآن...، نظرت حولي فلم أجد إلا الظلام ينشر السكون ويبعث الكرى...، و لا أدري من أين جاءت هذه الرغبة رغبتني في البكاء... وبكيت لحظات بعمق حتى أمطرت مقلتي لكن لماذا هذا البكاء؟" (شفتنر، ص127، 126).

تبدو الصورة السابقة محملة بجملة من المعاني الرومانسية؛ منها أن الليل وحّد الراوي وذاته بعد لحظات التيه والضياع الأولى، وأصبح ملاذه الذي ينشد فيه السكون والطمأنينة واستنكار عشيقته ربيعة، كما أنه فضاء مليء بالأسرار والتفاصيل التي لا تتكشف نهارة تنعش الساري فيه بروائح الأشجار والثرى الندى والحقول بهذا تكون ذات الراوي مهياً لممارسة ما ينفس عنها من طقوس التأمل والتفكير والبكاء العميق الذي يمطر المقل.

توسع الكاتب في وصف الليل واستحضاره صورته التي تتصافر من النزعة الرومانسية للأحداث وراويها، فما تكشفه الأحداث يحيل إلى مستويين من الحضور؛ الأول مرتبط بلحظات السمر و الابتهاج العاطفي (ينظر: السابق، ص 236، 214)، وفي مستواه الثاني ارتبط بالحزن والألم والذكريات والموت؛ ففي أحد المشاهد يصف الراوي زيارته الليلية لقبر حبيبته ربيعة: "تغيب الشمس ويأتي الظلام ويتوارى الأحياء وتخلو المقبرة إلى أهلها الاموات...، فأنتسل هزبلاً متوجساً كالقط الجائع بين القبور إلى أن أصل لقبرها فأمرمر وجهي وقلبي فوقه على الثرى الندى عسى أن يطفئ اللهب المستعر وأتمم وأهيم كالذي خبل عقله في واد الشجون" (السابق، ص 310).

وللبحر خصوصية رومانسية في الرواية، تتجاوز حدود اللقاء والبوح الذي يجمع الراوي بحبيبته ربيعة إلى ذلك الاندماج الغريب والمحير مع اضطرابه وألوانه، إضافة لما يثيره في النفوس من إشراق، يصف الراوي محسن حدث الرحلة الأولى للبحر رفقة الفتاة ربيعة، يقول "نزلنا إلى البحر الذي كان لونه في ذلك الحين كلون السماء في صباح صحو وكانت من شتى الألوان تقريبا تلون سطحه ونسائم ذلك الصباح لا تقوى على تحريك أمواجه ومن جانب آخر تسلط الشمس أشعة تلهب الوجوه وتتعب العيون، كانت هذه الظواهر تثير انسجاماً غريباً في المزاج، كل هذه الخطوط جعلت البحر جذاباً وشديد الإغراء ورائحته تجذب كاللحن البديع" (السابق، ص 136)، يشير مسار وصف البحر إلى ارتباطه أولاً بتشكيل الأحلام والرغبات الذاتية وثانياً يبدو الفضاء الأرحب للقاء شخصية الرواية وراويها محسن وحبيبته ربيعة بحيث تتجلى عبر لونه وحركة أمواجه وشمسه التي تلهب الوجوه أحداث النزوع الرومانسي بين العاشقين باعتراضهما بالحب صراحة و يتيح للراوي صورة جديدة لهيئة حبيبته وجمالها، يقول: "انطلقت ربيعة تجري حافية وشعرها يربت رديها الذي نظمته على هيئة ذيل حصان، وهي كظبية راعها منظر واد نضير روعته الطبيعة كانت لم تجد ما تعبر به من السرور والبهجة عدا البحر والصبح والانبطاح فوق الرمال الفضية الغارقة في رذاذ البحر، وأقول لها في إعياء

-أنا أعار عليك من رياح البحر

- شعرك عبثت به الرمال

-الشمس تفلح جسديك" (السابق، ص136).

## خاتمة:

سعيانا في هذا البحث إلى استقصاء بعض ملامح بنية رواية سور الحرمان من خلال تجربة النزوع الرومانسي فيها، وقد ظهر النزوع في بعض تشكيلاتها؛ بدءاً من عتبة العنوان التي تشكل دلالاتها إحدى أسس الرومانسية، مروراً بالمعانة العاطفية للذات الرواية التي تمثلها شخصية الرواية محسن وصراعه النفسي والاجتماعي من أجل المرأة واختياراتها الذاتية وموقف النسق منها أساساً آخر للتشكيل

الرومانسي، وانتهاء بحضور الطبيعة في تشكيل النزوع الرومانسي للذات عبر احتضانها والالتجاء إليها في لحظات السرور والألم.

#### المصادر والمراجع:

##### أولاً: المصادر:

1. شفتز، سليمان الشتوي، (1987): سور الحرمان، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ط1.

##### ثانياً: المراجع:

- 1 - بلعابد، عبد الحق (2008) : عتبات من النص إلى المناس، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1.
- 2 - السعافين، إبراهيم (1984): تطور الرواية في بلاد الشام 1870-1967، دار المناهل، سوريا ط2.
- 3 - شكري، غالي (1980): منى المأساة في الرواية العربية، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط2.
- 4 - هلال، محمد غنيمي (1973): الرومانتيكية، دار الثقافة، بيروت، ط1.
- 5 - الهواري، أحمد (2002): البطل المعاصر في الرواية المصرية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة.
- 6- وادي، طه (1973) : صورة المرأة في الرواية المعاصرة، مركز كتب الشرق الأوسط، ط1.